شَجَرَةُ
الأَنبِيَاءِ
- ١٣ -

مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كليم اللَّه

منصور الرفاعى عبيد   د/ إسماعيل عبد الفتاح   رزق السيد هيبة

رسم صفوت قاسم

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت : ٢٧٥٢٩٨٤، ٢٧٥٢٧٣٥ فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٢٢٩,٥	منصور الرفاعى عبيد.
م ن م و	موسى عليه السلام: كليم الله/ منصور الرفاعى عبيد، إسماعيل عبد الفتاح، رزق السيد هيبة؛ رسم صفوت قاسم.- القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٨.
	٣٢ ص : إيض؛ ٢٤ سم. - ([سلسلة] شجرة الأنبياء؛١٣)
	تدمك : ١ ـ ١١٣٩ ـ ١٠ ـ ٩٧٧.
	١ ـ قصص الأنبياء. أ ـ إسماعيل عبد الفتاح، مؤلف مشارك. ب- رزق السيد هيبة، مؤلف مشارك. جـ- صفوت قاسم، رسام. د- العنوان. هـ- السلسلة.

صف كمبيوتر عادل أحمد العزب

رقم الإيداع	٨٢١١ / ٩٨

بسم الله الرحمن الرحيم

عِشْنَا فى القِصَّة السَّابقَة مَعَ نَبِىِّ الله يُوسَفَ عَلَيه السَّلامُ، مِنْ طُفولَته، وَكيدَ إخْوَته لَهُ، وَمَا لاقَاهُ فِى مِصرَ، مِنَ اخْتبَار وَابْتلاء، إلَى أنْ كَانَتْ عَاقبَةُ صَبْرِهِ، وَلجوئه إلَى رَبِّهِ فِى كُلِّ حَال، أنْ أصبَحَ أمينًا عَلَى خَزائِن مِصرَ، ومُدَبِّرًا لأمُورهَا وأَقْوَاتهَا، وجاءَهُ أبَوَاهُ وإخْوَتهُ، وَقيلَ: ادْخُلُوا مَصرَ إنْ شَاءَ اللهُ آمنينَ.

ويوسفُ وَإخوَتُهُ هُمْ بَنُو إسرَائيلَ الَّذى هُوَ يَعقُوبُ عَليه السَّلامُ.

عَاشَ بَنو إسرَائيلَ فِى مِصْرَ سَنوات طِوَالاً، وَلَكنَّهُمْ كَانُوا مُضْطَهَدينَ فيهَا، فكَانَ فِرْعَونُ يَقتُلُ أبناءَهُمُ الذُّكورَ، وَيترُكَ الإنَاثَ، بسبَب رُؤيَا رَآهَا فِى نَوْمِهِ تُحذِّرُهُ مِنَ شَرِّ سَيأتِيه عَلَى يَد وَاحد مِنْ بَنى إسرائيل.

وَأرادَ اللهُ أنْ يَبعَثَ نَبيًّا منهُمْ يَدْعُوهُم إلَى عبادَة الله وَحدَهُ لاَ شَريكَ لَهُ، ويَدْعُو فِرعَونَ أنْ يكُونَ مِنَ المؤمنينَ. هَذَا النَّبِىُّ هُوَ مُوسَى عَلَيه السَّلامُ.

وَلْنبدأْ قصَّةَ مُوسَى، وَأُمَّته.

أما مُوسَى، فَهوَ رَسُولٌ كريمٌ، وَنبىٌّ عَظيمٌ، اخْتارَهُ اللهُ وَاصْطفَاهُ لمهمة مُقدَّسة، هىَ الدَّعوةُ إلَى تَوحيد الله، وَعَدَم الشِّرك به وكَانَ مكَانُ دَعوتِه هُوَ مصرَ وَسيناءَ، والشَّامَ، وَقدْ أعطَاهُ الله مِنَ الآيَاتِ والمعْجِزَات، مَا لَمْ يُعط كَثيرًا مِنَ الأنبياء، فكَانَ مَولدُه آيةً، وبَعْثتُهُ آيةً، ورسَالَتُه آيةً، وَدعوتُه آيةً.

أمَّا أمتُهُ، فهىَ بَنُو إسرَائيلَ، الَّتى اصْطفَاهَا اللهُ هىَ الأُخرَى، وَأعطَاهَا مَا لَمْ يُعطَ غيرَهَا مِنَ الأُمم، وَلَكنَّهُمْ رَغمَ اصْطفَاء الله لهُمْ، كَانُوا شَعبًا صعبَ المرَاس، شَديدَ الطِّبَاع، لاَ يَقبَلُونَ التَّوجيهَ، وَيَنْحرفُونَ عَنِ التَّوحيدِ، ويَسألونَ كَثيرًا حَتَى فِى الأُمورِ الهَيِّنة الَّتى لاَ تَستَحقُّ السُّؤالَ.

نَسَبُ موسَى عليهِ السَّلامُ

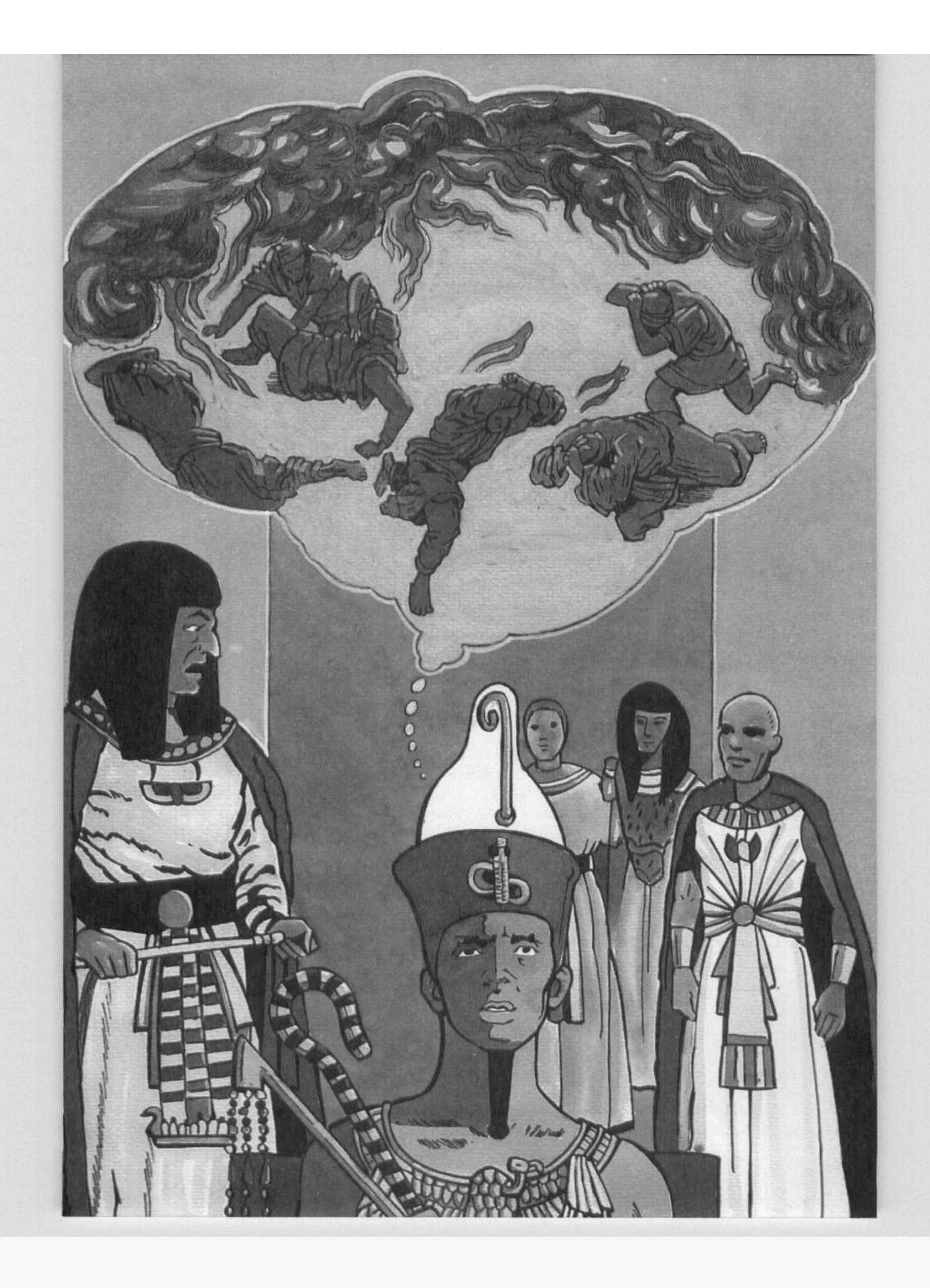
يَقولُ المؤرِّخُون أنهُ نَبِىُّ اللهُ موَسُى بنُ عمرانَ، بن قاهتْ بن لاَوى ابن يعقوبَ بن إسْحَاقَ بن إبراهيمَ عَليهِمُ السَّلامُ. فهوَ نبىٌّ منْ نسلِ ثلاثة أنبياءَ، هُمْ يَعقوبُ وإسحَاقُ وإبراهيمُ عليهِمُ السَّلامُ.

أمَّا أمُّه فهِىَ يُوكابدُ بنتُ لاوى منْ نَسلِ يعقوبَ، فهِىَ أيْضًا منْ ذُرِّيَة أنبيَاء اللهِ الثَّلاثة الذينَ تَسلَسلَ من نَسلهم أنبياءُ بنى إسرَائيلَ.

وقَدْ وُلِدَ مُوسَى عَليه السَّلامُ فى مصرَ فى عَهْد الملك (قابُوسَ بن مصْعَب بن معاوية) وكَانَ أبُوهُ وقتَ ولادتَه قَدْ جَاوزَ السَّبْعينَ منْ عُمرِهْ، وكَانَ موسَى هُو الابنُ الثَّانى لَهُ إذ سبقَه فِى الولادة أخُوه هَارونُ الَّذى كَانَ أكبرَ منه بعامٍ واحد.

وكَانَ فرعَونُ مصرَ فى ذلك الوَقْت قَدْ رَأَى رؤيَا منامَيةً تقَولُ «أنَّ نارًا أقَبلتْ منْ بَيت المَقْدسِ حَتَّى دَخلتْ مصْرَ، فَأحْرقَتْ بيُوتَهَا وَأحرقَتْ المصْرِيِّينَ، وَتركَتْ بَنى إسرَائيلَ، فَخربَت الْبيوتَ، وَماتَ النَّاسُ فقامَ فِرعَونُ من نَومه فَزِعًا، وَدعَا الكَهنةَ والسَّحرةَ، والحرَّاسَ وكبَارَ رجَال الدَّولة، وحكَى لَهمْ رُؤياهُ، وَطلَبَ منْهمُ تَفسيرَهَا، فقَالَ لَهُ الكَهنةُ أنَهُ سَيخرُجُ منْ تلكَ البلْدة رَجُلٌ يكونُ عَلَى يديْه هَلاكُ مصرَ، وَلاَ تنْسَ أيهَا الملكُ أنَّ تلكَ البلْدةَ هى بَيتُ المقْدسِ، وَأنَّ فِى مَملكتكَ كَثيرًا منْ أبنائهَا بَنى إسرَائيلَ، الَّذينَ يُسمَّونَ بالعبرَانيِّينَ.

صَدَّقَ الملكُ مَا قالَهُ الكهنَةُ، وَأرَادَ أَنْ يحْتاطَ لنفسه منْ هؤلاء الَّذينَ حَذَّرتْه الرُّؤيَا منهُمْ، فَأمرَ بذبْح كُلِّ غُلامٍ ذَكر يُولَدُ فى العَبرانيِّينَ، وظَلَّ مُدةً يفعَلُ هَذه الفَعْلةَ الشَّنيعةَ، ولَمْ يَستمرَّ الأمْرُ عَلَى تلكَ الحال، إذْ كَانَ للمصريِّينَ مَصلحَةٌ فِى وُجودِ بَنى إسرَائيلَ بَينَهُمْ، فقَدْ كَانُوا يكلفونَهُمْ



بأعمَال السُّخـرة وَخدْمة فرْعونَ وَقومه، وَكَانَ ذَبحُ أبنائهمُ الـذُّكـور سببًا فى قلَّة عـددهمْ لأنَّ الصَّغيـرَ يُذبَحُ، وَالكبيـرَ يمُوتُ، فَأحـسَّ المصريُّونَ بأنهُمْ فى حَاجـة إلَى مَنْ يقُومُ بخدْمتـهمْ، وَليسَ هُناكَ إلاَّ بنُو إسرَائيلَ، فتدخَّلَ كبَارُ القَوْمِ لَدَى فِرعـونَ يرجُونَهُ الإبقَاءَ عَلَى بَعض أبناء العبرَانيِّينَ ليكُونُوا فى خدمتهمْ وَقضَاء مصَالحِهمْ، فاستجَابَ لهمْ فِرعَوْنُ، وَوافَقَ أنْ يَذبَحُوا مَواليدَ بنى إسرَائيلَ سنةً ويتركُوهمْ سنةً، وَفى السَّنة الَّتى لَمْ يُذبَحْ فيهَا أَحـدٌ منَ المواليد وُلدَ هَارونُ أخو مُوسَى عَليهـمَا السَّلامُ، وَفى السَّنة التَّالية الَّتى سَيُذبحُ فيهَـا الأطَفالُ، وُلدَ مُوسَى عَليه السَّلامُ. . فكيفَ نَجا منَ الذَّبحِ؟

لقدْ كَانتْ نَجاتُه آيةً منْ آيات الله عزَّ وجَلَّ، فَـقدْ وَلدتْهُ أُمُّهُ وخبَّأتْهُ عَنْ عُيون رجَال فرعَونَ، وَلما خَافتْ عَليه ألهمَهَا اللهُ تَعالَى بحيلَة تُنجيه، وَكأنَّها سَمعَتْ هَاتـفًا يقُولُ لهَا: أَرضعيه فَإنْ خفت عَليـه فألقيه فى اليَمِّ وَلا تخَافى وَلاَ تحزَنى إنَّا رادُّوهُ إليْك وَجاعلُوهُ منَ المرسَلينَ.

وَصدَّقتْ أُمُّ مـوسَى ذلكَ الإلهَامَ، وَدعتْ نَجَّارًا صَنعَ لهَـا صُنْدُوقًا أَرقدَتْ فيه الرَّضيعَ الَّذى لَمْ يتجَـاوزْ عُمرُهُ بضعَةَ أيامٍ، وَغطَّت الصَّندوقَ بغطاء منَ الخشَب، وَألقـتْهُ فى النِّيلِ، وَأوصَتْ ابْنَتَهَا أُختَ مُـوسَى عَليه السَّلامُ بأنْ تُراقبَ الصُّندوقَ لتعرفَ أينَ سَيذْهَبُ، وَكيفَ سيكونُ مَصيرُهُ، وصارَت الأُختُ تَرقُبُهُ، وَالأمَواجُ تدْفعُهُ حَتَّى وقَفَ بجوَار قَصْرِ فرعَونَ، فى الوَقت الَّذى كَـانتْ فيـه بَعضُ جَوارى القَـصْر يَغْـتَسلْنَ فى النـهْرِ، وَعندَمَا لمحْنَ الصُّندوقَ تخـيَّلْنَ أَنْ يكُونَ فيه كَنزٌ ثَمينٌ يسـتحقٌّ أَنْ يقدمْنَهُ هديةً لسيدتهنَّ (السَّيدة آسْيَا) زَوجَة فرعَونَ.

وَسرعَـانَ ما حَـملنَ الصُّندوقَ وذهبْنَ به إلَى القَصـرِ وفَتـحْنَهُ أمام سَيدَتهنَّ، فَـإذَا فيه ذَلكَ الطِّفلُ البَرىءُ الرَّضيعُ الذى ألقَى اللهُ محـبَّتهُ فى قَلبِ سَيِّـدةِ القَصْرِ، حتَّى كَـأنهُ ابنُهَا، تُدافِعُ عَنهُ أمامَ فِـرعَونَ وتمنَعُ عَنهُ السُّوءَ.

قَالَ فرعَونُ: إنِّى أخافُ أنْ يكُونَ هَذَا الطِّفلُ منْ بنى إسرَائيلَ، وقدْ يكُونُ هوَ الذى أشارتْ إليْه الرؤيَا، فيكُونُ هلاكُنَا عَلَى يديْه.

قَالـت امْرأةُ فِـرعَونَ: لاَ تقْـتلُوهُ عَسَى أنْ ينفـعَنَا أو نَتَّخِـذَهُ ولَدًا، فَيكونَ قُرةَ عَينٍ لى ولَكَ.

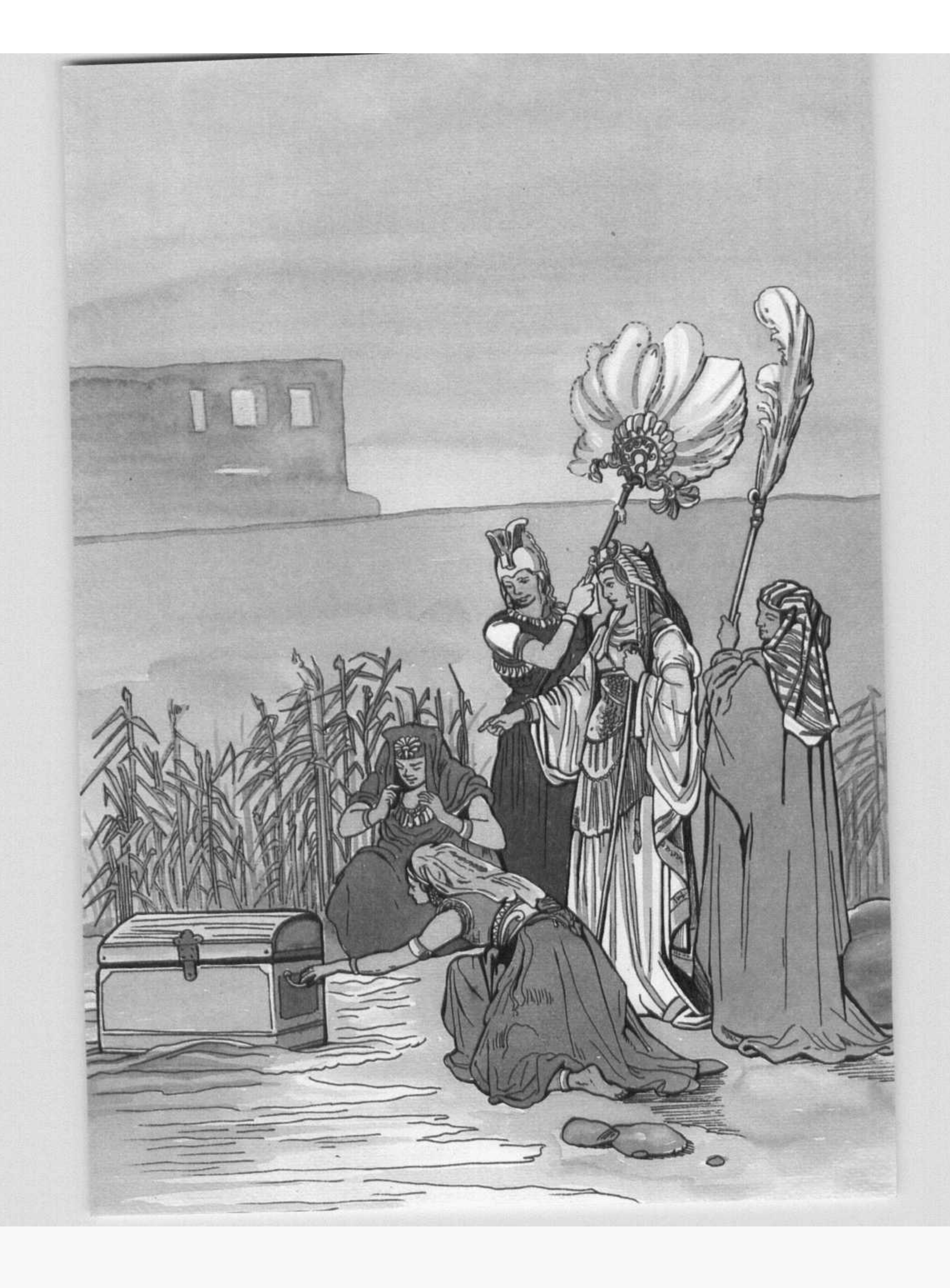
قَالَ فرعَونُ: ليكنْ قُرةَ عَيْنٍ لَكِ وحدَكِ..

وَسبحانَ الله، كَأنَّ اللهَ يختَارُ للنَّاسِ فى بعْضِ الأحْوال ما يخْتارونَ هُمْ لأنفسهمْ، فَلوْ أنَّ فرعَونَ وَعَى قَولَ امرَأته «قُرةَ عينٍ لى ولَكَ» ورَضىَ به، لكَانَ مُـوسَى قرةَ عَـينٍ لَهُ، ولكنَّ اللهَ طَمَسَ عَلَى قلبِـه منذُ اللحْظَة الأُولَى من رُؤيته مُوسَى فكَانَ بيْنَ مُوسَى والمصريِّينَ ما كَانَ.

احتَـضنَت امرأةُ فرعَونَ مُـوسَى، ولَكنَّهُ راحَ يبْكى، فهوَ جَـوْعَانُ، وقَدْ فَـارقَ صدرَ أمِّـه الحنُون، ولابدَّ لهُ منْ غذَاء، ومَنْ ثدى يمـدُّه بهذَا الغِـذَاء، وَهنَا تتَـجَلَّى آيةٌ منْ آيـات الله، إذ لَمْ يقَـبلِ الرَّضِـيعُ ثدْىَ أية مَرضعَةٍ ممنْ جَاءتَ بهنَّ زوجَةُ فرعَونَ لرعَايته، وهُنَا تقدَّمتْ أخْتهُ فقَالتْ: هَلْ أدلُّكُمْ عَلَى أهلِ بيتٍ يكْـفُلونَهُ لكُمْ، وعَلَى امْرأةٍ تُرضِـعُهُ وتَرعَـاهُ، وتكُونُ له أمًّا حَنونًا؟

ولَمْ تتوانَ امْرأةُ فِرعونَ فأجَابتْهَا بلهْفَة:

أحضـِريهَا لَنا حَالاً، فَـإنَّ الطفْلَ فِى خَطرٍ، وسوفَ ينْجُـو إذَا قبلَ الرَّضاعةَ منْ ثديهَا.



وَانطلقَت الفَتاةُ إِلَى أُمهَا، وَأحضرَتْهَا، وَلم يكد الطِّفلُ يتشَمَّمُ صَدْرَ أُمه حَتَّـى أقبَلَ عَلَى ثَديهَا بلهفَـة وشوْق، وَطلبتْ منهَا امْـرأةُ فِرعونَ أنْ تعيشَ معهمْ فِي القَصْرِ لترعَاهُ فرفَضَتْ ذلكَ لأنَّ لديْهَا بيتًا وزَوجًا وأوْلادًا فِي حاجَةٍ إِلَى رعَايتِهَا، وعندَئـذ وافقَتْ زَوجَةُ فِرعونَ أَنْ يذهبَ الرَّضيعُ مَعَ مُرضعَته الَّتى هِىَ أمُّهُ ليعيشَ معَها مُدَّةَ الرَّضاعَةِ، وتحقَّقَ وعْدُ الله لأمِّ مُوسَى فِى قولِ اللهَ تعَالَى: ﴿إنا رادُّوه إليْك﴾

طفولة موسى

عَاشَ موسَى فَترةَ الرضَاعة فِي سعَادة بينَ أَحضان أمِّه وأبيه، وَأخيه هَارونَ وأخته، ومَا إنْ بلغَ الفطَامَ حَتَّى عَادَ إِلَى قَصر فرْعونَ، الَّذى عَاشَ فِيه زمنًا كَأَنَّه واحدٌ منْ أهلِ القَصرِ، اسْمهُ بينَهمْ «مُوسَى بنُ فرعَوْنَ».

ويقولُ المؤرِّخونَ أَن فِرعَونَ لما رَأَى مُوسَى قَد عَادَ إِلَى القَصرِ، وراحَ يلعَبُ هنَا وهُناكَ، أرَادَ أَن يداعِـبَهُ، ولكنَّ الغُلامَ الصَّغـيرَ أمسَك بلحَـية فرعونَ وانتزعَ منهَا شُعيرَات فغضبَ فرعَونُ ونادَى..

إِيتُونِى حَالاً بِالذَّباحِينَ ليذبَحُوا هَذَا الغُلاَمَ، إِنِّى أَشعرُ بأنَّهُ هوَ الَّذى سَيكونُ عَلَى يَديهِ هَلاكِى.

وَيا لَلعجَبِ منْ أَمرِ فرعَوْنَ، فَـإِذَا كَانَ هَلاكُهُ عَلَى يَد ذلكَ الغُلامِ، فَإِنَّ اللهَ لنْ يُمكنَهُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يكُن ذلكَ فمَا الفَائدةُ فِى قتلهِ؟

وَتأتى آيَةٌ مِـنْ آيات الله فِى ذَلكَ الموقف أَيضًـا، إِذْ تَقـولُ امـرأةُ فِرعونَ: إِنَّه طفلٌ لا يستطِيعُ التَّمييزَ، وتعالَ نَختبرْ تمييزَهُ عَمليًّا، ثمَّ نحكُمْ عَليهِ حَسبَ تمييزِهِ.

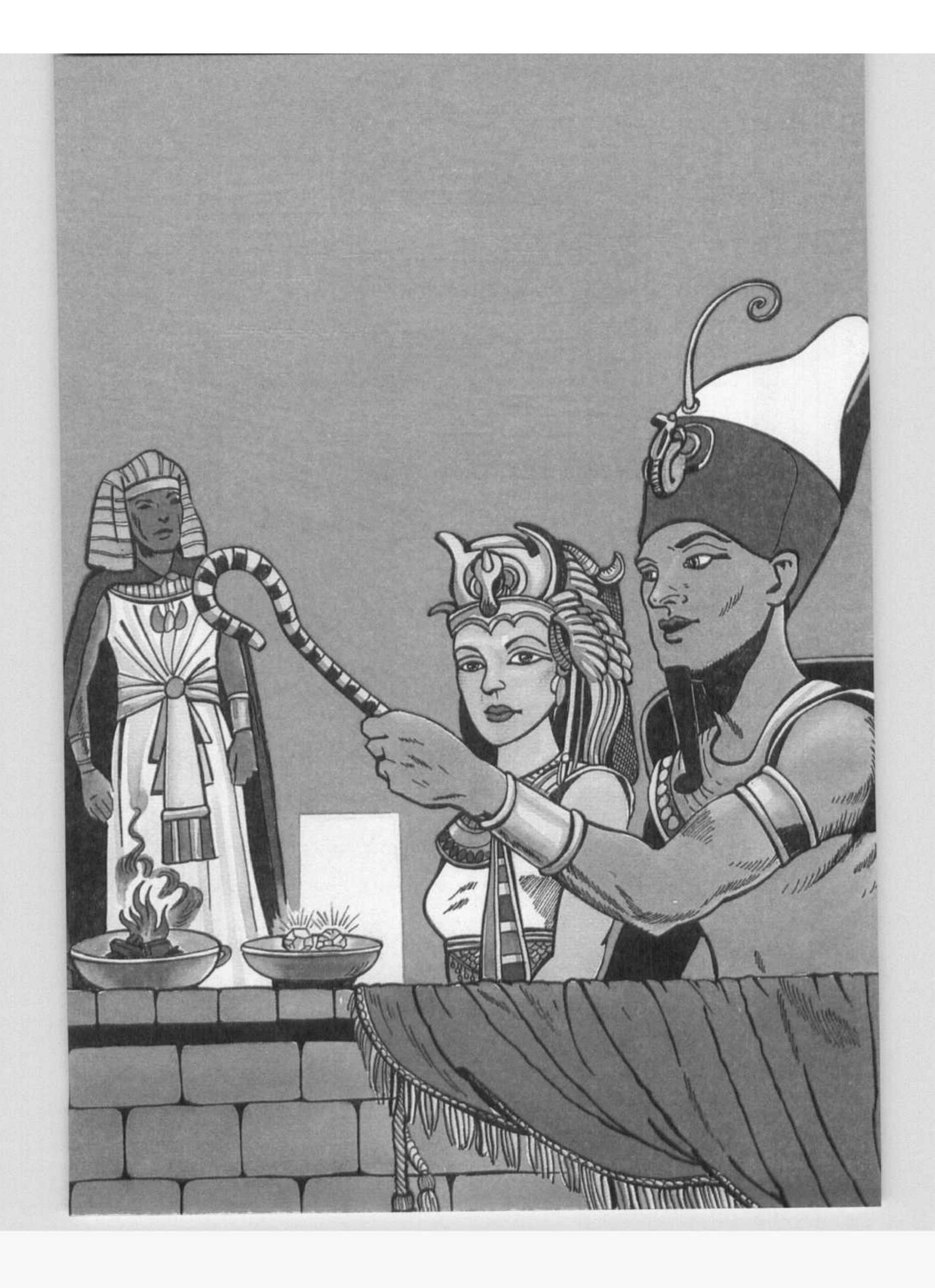
وأحضرتْ وعاءين وضعتْ في الأول لؤلؤتين تلمعان. وفي الآخر جمرتين من نار وتركتهما أمام موسى، وفرعون يرقب الموقف يتأمله، وأنزل اللهُ جبريلَ عليه السَّلامُ ليطرحَ الجمرتين في يد موسى، فيأخذهما الطفلُ ويضعهما في فمه، فيحرقان لسانَهُ. وهنا يثقُ فرعونُ بأنَّ موسى لاَ يميزُ ما يفعلُ، فيتركُه قرةَ عينٍ لزوجته، يعيشُ في القصرِ حتَّى يُصبحَ شابًّا قويًّا.

موسَى يَخرُجُ مِنْ مِصرَ وحيدًا

حَفظَ اللهُ موسَى واصْطفَاهُ، ورغْمَ أنهُ نشَأَ في قصرِ فرعونَ إلاَّ أنهُ كَانَ شَديدَ الولاء لبني إسرَائيلَ، فَما كادَتْ تَظهرُ عَليه مَلامحُ الرُّجُولَة وَالقُوَّة حتَّى كَفَّ المصريُّونَ عَن إيذَاء بَنِي إسرَائيلَ خَشيةً منْ قوة مُوسَى وبطشه، ويقصُّ علينا القرآنُ الكَريمُ وكتُبُ التفسير هَذه القصةَ عَن مُوسَى عَليه السَّلامُ:

خَرجَ مُوسَى يومًا يتَجوَّلُ في المدينة، فوجَدَ رجلاً مصريًّا يشدُّ واحدًا منْ بني إسرَائيلَ ليسخِّرهُ في بعْضِ أعْمَاله، فَاستغاثَ الإسرائيليُّ بموسَى الذى أسرعَ لينقذَهُ من بينِ يَدى المصريِّ، وَحدثتْ مُشَادَّةٌ بينَ الاثنين انتهتْ بموتِ الرجلِ المصريِّ. ولمْ يكنْ مُوسَى عَليه السَّلامُ ظَالما ولاَ جَبَّارًا في الأَرضِ، ولكنَّهُ قضَاءُ الله الَّذى يُرتبُهُ لتجْرِىَ الأحْداثُ بعدَ ذلكَ بأسْبابهَا الظَّاهرَة.

كَانَ المصرىُّ لا يعرفُ مُوسَى، فطلَبَ منهُ أن ينْصرفَ إلَى حَاله ويترُكَهُ وشأنَهُ معَ هَذَا الإسرَائيليِّ يُسخرُهُ كَمَا يشَاءُ، ولكنَّ مُوسَى لايَنْسَى



انتمَــاءهُ لبنى إسرَائيلَ رَغمَ شُهــرتِهِ بأنهُ ابنُ فِرعــونَ، لا يريدُ ظلمًا لأبناء طَائفتــه، فوكَزَ الرجُلَ المصــرِىَّ - كَمَا يُــعبِّرُ القُــرآنُ الكريمُ - أى ضربَهُ ضَربَةً خفيفةً، ولكنَّ قضاءَ الله كَــانَ نافذًا فمَاتَ المصرِىُّ مَن فَوره، ويقَالُ أن مُوسَى دَفنَهُ، وَلَمْ يعلمْ بذلِكَ الأَمرِ سِوى الله عزَّ وجَلَّ.

ونَدمَ مُوسَى عَــليهِ السَّلامُ أشَــدَّ الندَم، عندَمَا أحسَّ أنهُ تَــعَجَّلَ فِى نُصرَةِ العِــبرَانىِّ، والقَــضاء عَلَى المصْــرِىِّ الَّذى كَانَ إيحَاءً مِنَ الــشَّيطَان، وتوَجَّهَ مُوسَى إلَى ربِّهِ بالتَّوبة، وطَلَب المغــفرةِ وَالاعترَاف بأنَّ هَذه الفَعلةَ مِنْ عمَلِ الشَّيطانِ إنهُ عَدوٌّ مضِلٌّ مبينٌ، فغفرَ اللهَ لموسَى ذَلكَ الخطَأَ الَّذى لَمْ يكَنْ يتعمَّــدُ فِيهِ قتلَ نفسٍ بَشــريةٍ بغَيْرِ حَقٍّ، لأنَّ اللهَ سُبــحانَهُ وتعَالَى يُجازِى العِبادَ بِحَسَبِ نياتِهِمْ ومقَاصدِهِمْ.

وَفى اليومِ الثَّــانِى خرَجَ مُوسَى وَهوَ خَــائفٌ منَ افْتضَــاحِ أَمرِه لأنَّ القَومَ قَد عَثرُوا عَلَى القَتيلِ ولمْ يعــرفُوا مَن الذى قَتلَهُ، وَلو عَرفوهُ لقتلُوهُ جَزاءً لَهُ وقِصَــاصًا. وتكرَّرتِ الحادثَةُ فهَذَا هُو الإسْــرائيلىُّ صَاحِبُ حَادثة الأمسِ نفسُــهُ يتشَــاجَرُ مع مِصــرِىٍّ آخرَ، فَــغضبَ مُوسَى وسَــعَى لِفضِّ المشَــاجــرةِ ولكنَّه فِى هَذه المرة يُلْقــى اللَّومَ عَلَى العِــبْــرانِّى الَّذى هُوَ مِنْ طائفَته بَنِى إسْــرَائيلَ. ويقُولُ لهُ: مَا هذَا؟ أَفى كُلِّ يومٍ مُشَــاجَرةٌ؟ مَا هذِه الفَوْضَى الَّتى تعيشُهَا؟

وخَــافَ العِبــرانىُّ أَن يبطِشَ بِهِ مُــوسَى، وحَاولَ الدِّفَــاعَ عنْ نفسِــهِ فقَالَ:

مَا شأنُكَ أَنتَ يا مُوسَى، أَتريدُ أَنْ تقتُلَنى كمَا قَتلتَ نَفسًا بالأَمْسِ،

إنْ تريدُ إلاَّ أنْ تَكونَ جبَّارًا فِي الأَرضِ، ومَا تريدُ أنْ تكُونَ مِن المصْلحينَ.

لقد انكشَفَ السِّرُّ، وسَمِعَ المصْرِيُّ هَذَا الكَلاَم فَعرفَ أنَّ مُوسَى هُوَ الَّذى قَتلَ المصْرِىَّ بالأمْسِ، وَانطلقَ ليخبرَ قَومَهُ بما عَرفَ، فَأرسَلَ فِرعَونُ الشُّرطَةَ للبحْثِ عَنْ مُوسَى وَالقَبضِ عَليه، ولَكنَّ لله جُنودًا يَحفظُونَ رُسلَهُ والمؤْمنينَ، كَانَ منهُمْ رَجلٌ منَ آل فرعَونَ انطلقَ هُوَ أيْضًا يبحَثُ عَنْ مُوسَى، ولكنْ ليحذِّرهُ منْ فرعونَ وَجُنوده، قَالَ لهُ: إن الملأَ يأتمرُونَ بكَ ليقْتلوكَ فاخْرجْ إنِّى لكَ منَ النَّاصحينَ.

وخرَجَ مُوسَى من مصرَ، متَّجهًا إلَى الشَّرقِ، يَمْشى وَحدَهُ فِى أَرضِ سَيناءَ، لاَ زادَ معَهُ وَلا مَاءَ، فكانَ يمشى حَافيًا، ويأكلُ أورَاقَ الشَّجرِ، حَتَّى أخذَ منهُ التَّعبُ كُلَّ مأْخذٍ إلَى أنْ وصَلَ أرضَ مدينَ، وهَناكَ بدأَتْ قِصَّةٌ أخْرَى.

مُوسَى فِي أرضِ مَدْيَنَ

سَارَ مُوسَى ثَمانيةَ أيَّامٍ بلياليهَا إلَى أنْ وصَلَ أَرضَ مَدينَ، وهِىَ مَنطقَةٌ تقعُ شمَالَ شَرقِ الجزيرَةِ العربيَّةِ بيْنَ مصرَ والسُّعودِيَّة -الآنَ- وَأرضِ الشَّامِ. وعندمَا وصَلَ أرضَ مدينَ، وجدَ الرعاةَ يتسابقُونَ لسَقى أبقارِهمْ وأغنَامهِمْ منْ بئرٍ هُناكَ، وَرأى علَى مَقربَةٍ منهُمْ فَتاتيْنِ تقفَانِ بأغنَامهِمَا تَنتظرَانِ أَنْ ينتهِىَ الرِّجالُ منْ سَقْى أغنَامهِمْ، وَأدهشَهُ ذَلكَ المشهَدُ، فإنَّ الذوْقَ الإنسَانيَّ يقضِى أنْ يتنحَّى الأَقويَاءُ، ويتركُوا الضُّعفَاءَ يَسقونَ مَواشيَهمُ أولاً، وَمنَ الذَّوقِ الإنسَانِىِّ أَن يتنحَّى الرجَالُ ويتركُوا النِّساءَ يَسقِينَ لضعْفهنَّ وَحَاجتهنَّ للمسَاعدَةِ، فتقدَّمَ مُوسَى إلَى الفتاتَيْنِ وَسألهُمَا: لِمَاذَا لاَ تسقِيانِ؟

قَالتَا: لاَ نَسْـقى حَتَّى يَنتهيَ الرِّجالُ منَ السَّقْي، فَـهمْ يمنَعونَنَا منَ السَّقيِ قَبلَهمْ، وَأبونَا شـيْخٌ كبيرٌ لاَ يقْدرُ عَلَى رِعايةِ الغَنَمِ وَسَـقيِهَا، وَلاَ يَستطيعُ أَن يأتَى إِلَى هُنَا لمنازَعة الرِّجال.

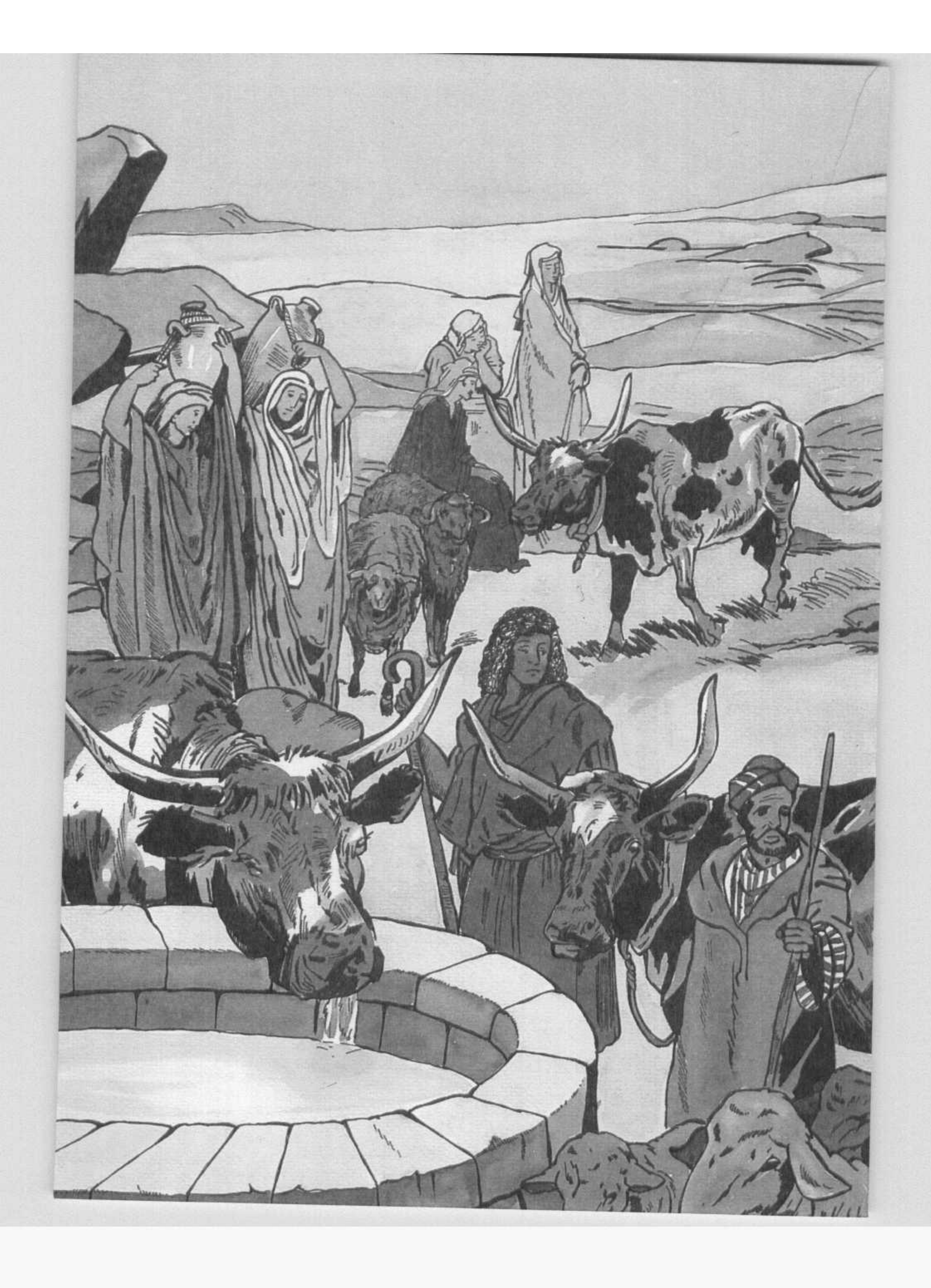
كَانَ مُـوسَى قَويَّ الجسَد شَـهمَ الطِّبَاع فسَقَى لهُـمَا أغنامَهُمَـا حَتَّى ارتوَتْ، ثمَّ مالَ إِلَى ظلِّ شَـجَرة وجَلَسَ لَيستَريحَ وهُو يَـدْعُو ربَّه قائلا: رَبِّ إنِّي فَقـيرٌ لمَا تُنزلُ إِليَّ منْ خَيْـرٍ، فَكُنْ مَعِي، وَأَنزِلْ عَلَيَّ من الخَـيْرِ الذى ترْضَاهُ لعبادكَ الصَّالحين.

أَمَّا الفتاتَان فَقدْ عادتَا إِلَى أبيهـمَا وأخبرَتَاهُ بما حَدَث، وَأنهُمَا لذلكَ عَادتَا مُـبكِّرتيْنِ عَنْ كُلِّ مـرَّة سَابقَـة، فَأرسلَ الرجُلُ إحْـدَى ابنتَيْـه تَقولُ لموسَى: إن أبي يدْعوكَ ليجزِيَكَ أَجرَ ما سَقيْتَ لَنَا.

كَانَ أبوُ الفـتاتَيْنِ منْ أَحفـاد سَيدنَا شُـعيب عَليـه السَّلامُ. وهَا هُوَ الفرجُ يأتى منْ نَاحيته، فقامَ مُوسَى مُلبيًا دعوَةَ الشَّيخ، مُتجهًا إليه، وَفى الطَّريق يُعلِّمنَا مُوسَى عَليه السَّلامُ درسًـا فى مكارم الأَخْلاق، فهوَ غريبٌ لاَ يعرفُ الطَّريقَ، فَسارت الفَتاةُ أمَامَهُ لترْشدَهُ، ولَكنَّ مُوسَى يَرى أنَّ منَ الفَضيلة أَنْ تسيرَ الفـتَاةُ وَرَاءهُ وتدلُّهُ عَلَى الطَّريق بإشَارة منْهَا حَتَّى لاَ تقعَ عَيناهُ عَلَى شَيءٍ منْ جَسدهَا إذا هَبَّت الرِّيحُ فَكشفَتْ عَنْ ساقهَا مَثلاً.

وأمَـامَ الشَّيخ جلسَ مُـوسَى - عَليـه السَّلامُ - يحْكى لهُ أمـرَ بنى إسَرائيلَ فى مصْرَ، وسبَبَ خَرُوجـه منْهَا، وقدُومه إِلَى هَذَا المكَان وَحيدًا غريبًـا مُطَارَدًا، فقالَ لهُ الشَّـيخُ الكَبيرُ: يَا مُـوسَى لاَ تخفْ. نَجوتَ منَ القَوْمِ الظالمينَ.

وقَضَى مُـوسَى ثلاثَة أيَّامٍ فى ضـيافَة شَـيخ مَدينَ، كَـانَ مشـغُولاً خلالَها أينَ سيذْهبُ وكيفَ سيـعيشُ، وَلكَنَّهُ كمَا يُقالُ: العبدُ يفكِّرُ واللّهُ يُدبِّرُ، فقـدْ ألهمَ اللّهُ إحْدَى الفتاتَين أَنْ تقُـولَ لأبيهَا: يَا أبت اسْـتَأجرْهُ، وَاتركْهُ يَعشْ مَعَنا ويرْعَى أغنَامَنَا، إنَّ خيرَ مَنِ استْأجرتَ القَويُّ الأَمينُ.



وسأل الرجلُ ابنتَهُ فِى دَهشة: وكيفَ عرفْتِ أنهُ قوىٌّ أمينٌ؟

قالت الفتاةُ: عرفتُ أنهُ قـوىٌّ عندمَا سقَى لنَا الغنمَ فِى وسط الرُّعاة الأقوياء الَّذينَ تركُـوا لهُ البئرَ حتَّى ارتوتْ أغنامُنَا، وعـرفْتُ أنهُ أمينٌ لأنهُ لَمْ يرفَعْ رأسَهُ وأنا أدعُوهُ لمقَـابلتكَ، ثُمَّ دعَانِى لِلسَّيرِ خَلفَـهُ وليسَ أمامَهُ، وتلكَ هِىَ أمَاراتُ القوة والأمانة.

وهُنا عرضَ الشَّـيخُ عَلَى مُوسَى أَنْ يعـيشَ معَهُ وأنْ يزوِّجَـهُ إحْدَى ابْنتيْـه، ويكونَ مهرُهَا أنْ يرْعَى لهمُ الأغْنامَ مدةَ ثَمـانى سَنوات، فَإنْ أتمَّ عَـشْرًا فَـهوَ أفـضَلُ، فتـزوَّجَ مُوسَى إحْـدَى الفـتَاتَيْنِ وهِىَ الَّتِى تُسَـمَّى «صَفـورَةَ» ورعَى الغنمَ فِى مدينَ عَـشرَ سنينَ، وأنجبَ هُناكَ وَلدًا أسْـمَاهُ «جَرشومَ» أى الغُربةَ، لأنهُ غريبُ المولد، ولما أرادَ مُوسَى العَودةَ إِلَى مصرَ منَحَهُ الشَّيخُ نتَـاجَ غَنمه عَامًا كاملاً، وكَانَ منْ فـضْلِ الله وَسعَة رزقه أَنْ حَملَـتْ كلُّ الأغنامِ والمَاشيَـةِ فِى ذَلكَ العَامِ، وكَـانَ نَصيبُ مُوسَى مِـنْهَا وَفيرًا وكَثيرًا.

مُوسَى ورِسَالة التَّوحِيد

عَزمَ مُوسَى عَلَى العوْدة إِلَى مصْرَ، بَعدَ عَشرِ سنينَ قَضاهَا فى أَرضِ مَدينَ، وخَـرجَ هُو وأهلُهُ يسُـوقُ المَاشيةَ الَّتى أهْـداهُ إيَّاهَا صهرُهُ الـشَّيْخُ الكَبيـرُ، واتَّجهَ نحـوَ الغرْب متَّـبعًـا الطَّريقَ نفسَهَـا الَّتِى جَاءَ منْ مـصر خلالَهَـا، وفى ليلَة باردة مُظلمَة ضَلَّ الطَّريقَ فَلمْ يعرفْ إِلَى أينَ يتَّـجهُ، وأرادَ أنْ يُشعَلَ نَاراً يتدَفأُ بهَا هُوَ وأهلُهُ فـلَمْ يَستطعْ، فرأَى نَارًا منْ بَعيد، فَقَالَ لأهله: انتظرُونى هُنَا، لَقـدْ رأيتُ نَارًا، سأذْهَبُ لآتِىَ بَجذْوة منهَا، أو لَعلِّى أجدُ عندَهَا مَن يدُلُّنا عَلَى الطَّريق.

وسَـارَ مُوسَى فِى اتِّجـاهِ النَّارِ الَّتِى رآهَا، ولكنَّهُ رأَى عـجَبًـا، رأَى

ضَــوْءًا مُنبعـثًـا مِنْ شجَـرة مُـعلقَة، وهذَا الضـوءُ لا يَنْطَفئُ مِنَ البـرُودَة والرِّيح، وَلاَ تَزيدُهُ الرِّيحُ إِلَّا اشْتعَالًا ولمعَانًا، وليْسَ هُنَاكَ أحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَسْألُهُ عَنِ الطَّريق. وهمَّ مُوسَى بالعَودة مِنْ حَيْثُ أتَى، وَلكنَّهُ سَمِعَ صوتًا مِنْ وَسَطِ الشَّجرَة المعَلَّقـة يُناديه، فخَافَ وَارْتَعَدَ جسـمُهُ، وَلكنَّ الصَّوتَ أَعطاهُ الأَمانَ قَائلاً: يَا مُوسَى، لاَ تَخفْ إِنَّكَ مِن الآمنينَ.

وهدَأتْ نَفْسُ مُـوسَى، وتَوالَى الصَّـوتُ يقُـولُ: يا مُـوسَى، اخلَعْ نعلَيكَ إِنَّكَ بالوَادى المقدَّسِ طُوَى.

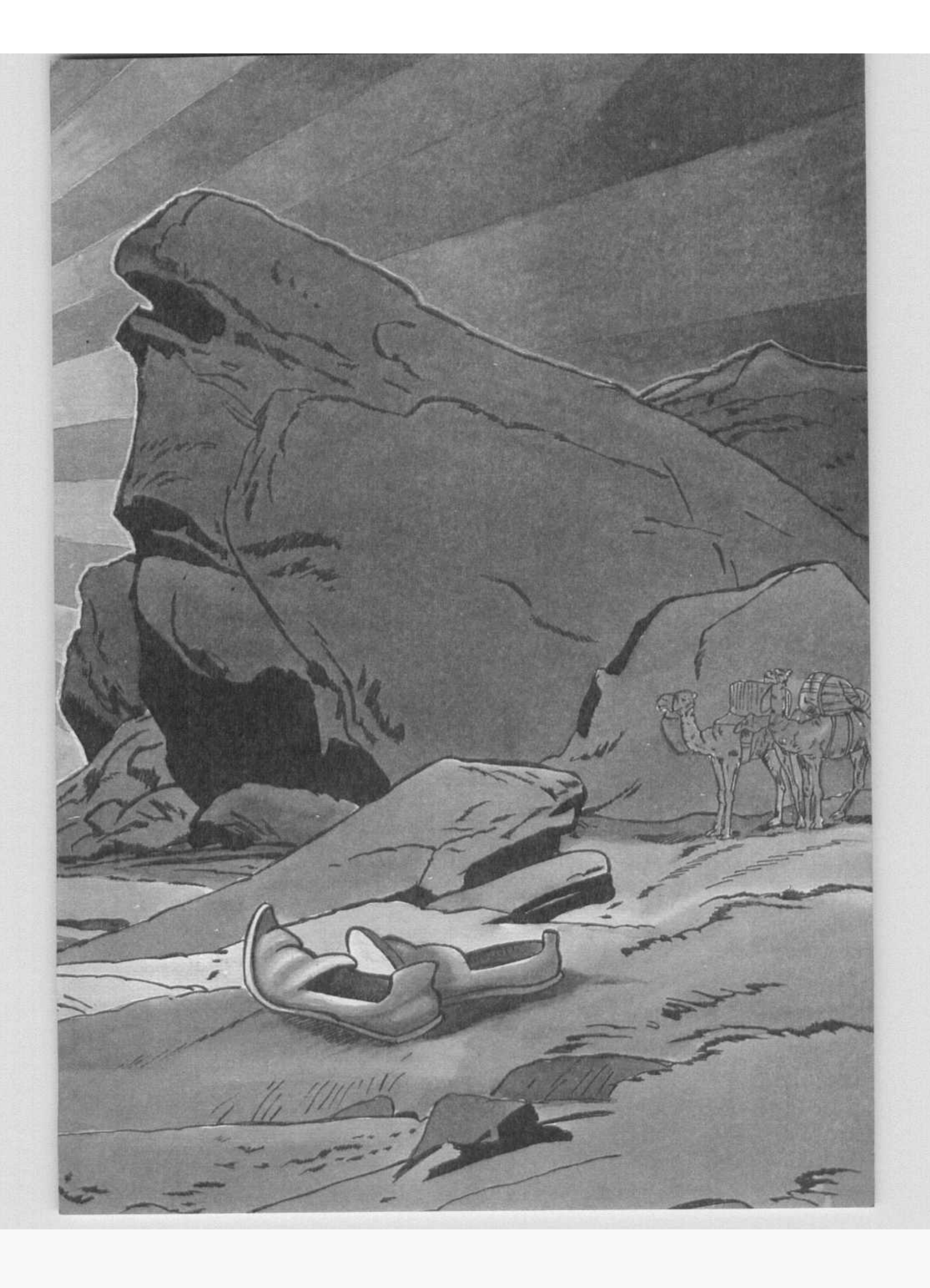
وَامتـثلَ مُـوسَى للأمر، وخلَعَ نعلَيْـه، وتقدَّم جِـهَةَ الصَّـوت الَّذى لاَيزَالُ يُخـاطبهُ.. وَأصَاخَ سـمعَـهُ، وَأصغَى إِلَى الصَّـوت الكريمِ يَزيدُهُ اطْمئنَانًا ويُلقى إليه رسَالَةَ السَّماء الَّتى سَيـبَلِّغُهَا إِلَى البَشر، قَالَ الصَّوتُ: يَا مُوسَـى، إِنِّى أنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعـبُدْنى، وَأقمِ الصَّـلاةَ لذكْرِى.. يَامُوسَى، مَا تلكَ الَّتى بيمينكَ؟

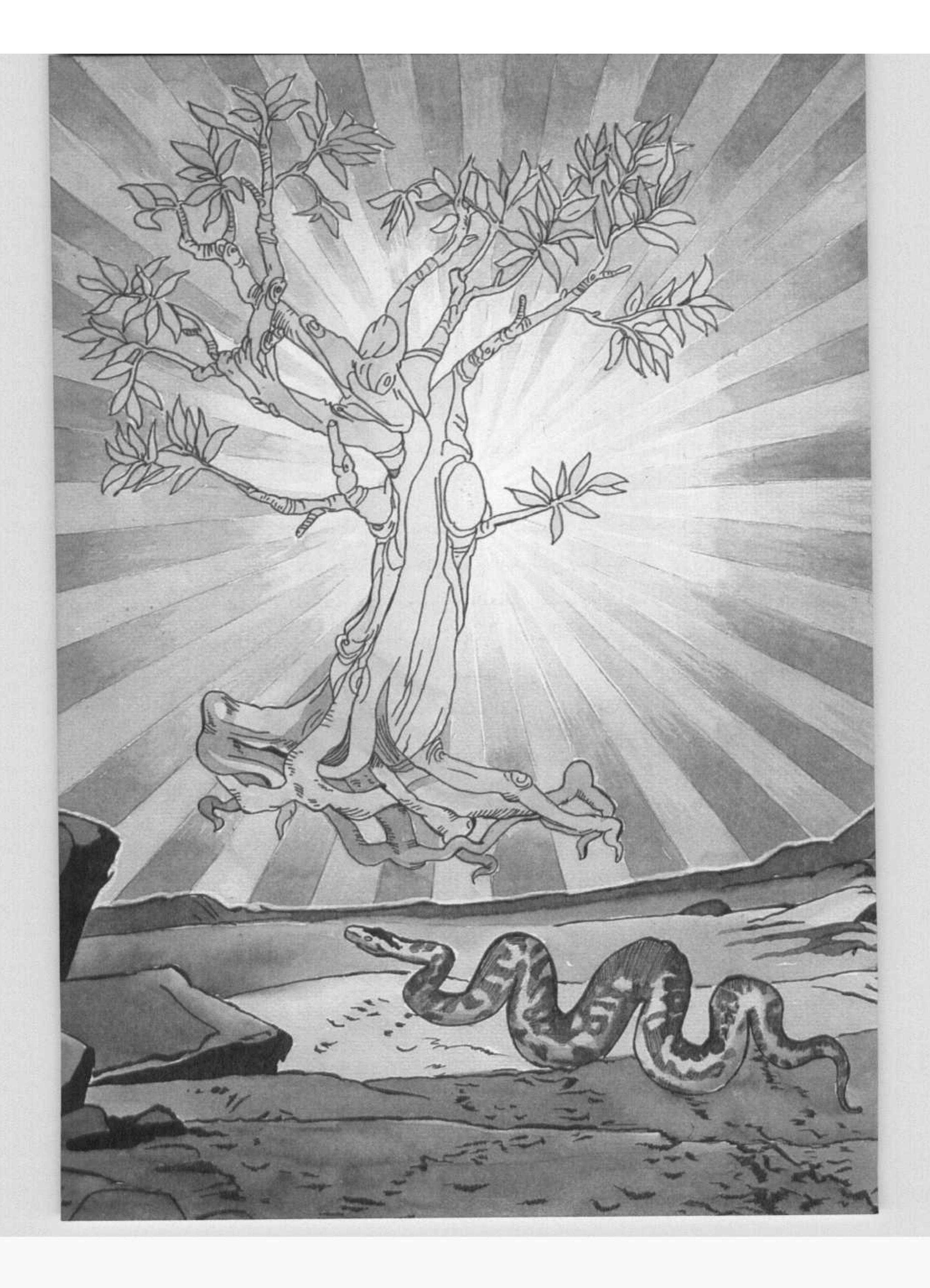
قَالَ مُـوسَى: هِىَ عصَاىَ، أتوكَّـأُ عليْهَا، وَأهشُّ بِـهَا عَلَى غَنمى، وَلِىَ فِيهَا مصَالحُ أُخْرَى أَقْضيهَا بهَا.

قَالَ لهُ الصَّوتُ: يَا مُوسَى، أَلقِ هَذه العَـصَا عَلَى الأَرض. فَألقَاهَا مُوسَى، فتحوَّلتْ إِلَى حَيَّة تمشى أَمامَهُ عَلَى الأَرض، فَارتعَدَ مُوسَى خَوْفًا ولكنَّ الصَّوتَ طمْـأَنهُ فهوَ صَـوتُ الله يُكلِّمُ مُوسَى تكليـمًا مُبـاشرًا بلاَ وَاسطَة، قَالَ: يا مُوسَى، خُـذْ هَذه الحَيَة بيدكَ ولاَ تخفْ منهـا سَنعيدُهَا عَصًا كَـمَا كَانتْ، وَأدخلْ يدَكَ فِى جَيبكَ، وَأخرجْـهَا - وَالجَيْب هُنَا هُوَ فَتحَـةُ الثَّوب الَّتى يَدخُلُ فيـهَا رَأْسُ الإِنسَان عندَمَا يُريدُ لبـسَهُ - وأدخَلَ مُوسَى يدَهُ فِى جَيبه، وَلَما أَخرجَهَـا وجَدَها بَيضَاءَ، مثلَ الثّلج، وليسَ بهَا سُوءٌ من برَصٍ أَو بُهاق، ولما أَعادَهَا إِلَى جَيْبـه وَأخرجَهَا مرةً ثانيةً عَادَتْ كَمَا كَانتْ، وَقَالَ لَهُ ربُّهُ:

يَا مُـوسَى، هَاتان مُعـجزتَان، اذهَـبْ بهمَـا إِلَى فرعَـوْنَ وقَومِـه، وادْعهُمْ للإِيمَان بِى، وَعَدمِ الشِّرْك، فأَنا اللهُ رَبُّ العَالَمينَ.

وَكانَتْ تِلكَ هِىَ بدَايةُ بَعثة مُوسَى عَليه السَّلامُ.





وفكَّر مُوسَى لَحظات، وتذكَّر أنَّه قَتلَ منهُمْ نفسًا، وأفضَى إلَى ربِّه بمخَاوفه، ودعَا اللهَ، أنْ يشرَحَ صَدرَهُ، ويُيسِّرَ لَهُ أمرَهُ، ويسَاعدَهُ، ويُرسلَ معهُ أخَاهُ هَارونَ نَبيًّا وَوزيرًا، لأنهُ أفصحُ منهُ لسَانًا، وكَانَ هَارونُ يَعيشُ بيْنَ المصريِّينَ ويعرفُ لهجَاتِهمْ وطَريقَتهمْ فِى الكَلام، فقَالَ اللهُ لموسَى: إنَّا سَنشُدُّ عضُدَكَ بأخيكَ، ونَجْعلُ لكُمَا سُلْطانًا عَلَى المصْريِّينَ، فَلتطمئنَّ، أنْتمَا ومَن اتَّبعَكُمَا منَ المؤْمنينَ.

ومنْ هَذه اللَّحظة أصبحَ مُوسَى هُو النَّبىُّ الرَّسولُ حَاملُ الرِّسالَة إلَى فرعَونَ وقَومه منَ المصْريِّينَ، كَمَا أنَّه أيضًا حَاملُ الرِّسالَة إلَى قَومه هُوَ منْ بَنى إسرَائيلَ.

وسَارَ مُوسَى بأهله ، يَحملُ نورَ السَّماء بينَ جَوانحه، حَتَّى وَصَلَ إلَى عَاصمَة مصْرَ لَيْلاً، فَدخَلَ عَلَى أمِّه الَّتى ضَيَّفَتْهُ هُو وزوْجَتَهُ وابنَهُ، وَجاءَ هَارونُ فتعرَّفَ عَلَى مُوسَى، وتعَانَق الشَّقيقَان عنَاقًا حَارًّا. ثُمَّ أبلغَ مُوسَى أخَاهُ هَارونَ بتكليف ربِّه إيَّاهُمَا بالرِّسالة، فَفرحَ هَارُونُ بذلكَ فرحًا شَديدًا، وعَاهَدَ مُوسَى عَلَى أنْ يَسيرَا فى الطَّريقَ الذى رَسمَهُ اللهُ لَهُمَا مَهمَا كَانت المشَاقُّ والصِّعابُ، ومَهمَا لقيَا منْ متاعبَ وآلام.

مُوسَى يُواجهُ فرْعَونَ

كَانتْ قَدْ مضَتْ عَشرُ سنينَ منْذُ غيَاب مُوسَى عَنْ مصرَ، مَاتَ فرعَوْنُ الَّذى تَربَّى مُوسَى فى قَصْره، وجَاءَ فرعَوْنٌ آخرُ أخُو الفرْعون السَّابق، وسَواءٌ كَانَ هُوَ الأولَ أو الثَّانى فَقدْ ذهبَ إليه مُوسَى وهَارُونُ، يُبلِّغَانِ دَعوةَ الله، ويَطلبَان منْهُ أنْ يرسلَ معَهُمَا بَنى إسرَائيلَ ليعبُدُوا اللهَ حَقَّ عبَادته، فضَحكَ فرعَونُ سَاخرًا منْ مُوسَى وَقَالَ لهُ: إنَّكَ قدْ تربيْتَ فى بيت فَرعَوْنَ وَليدًا، وَعشْتَ فى قَصره عدَّةَ سنينَ منْ عُمركَ، وَمنَ الواجبَ أنْ تحفَظَ الودَّ وتصُونَ العَشْرةَ، فَلاَ تعكِّرْ صَفْوَ فرعَون بمَا تَقُولَ. ولاَ بدَّ أنْ تعرفَ أنهُ ليسَ هُنَاكَ إلهٌ غَيرى، فَأنَا الرَّبُّ الأعلَى وَالإلهُ المعْبودُ..

وَتوَقَّفَ فِرعَـونُ عَنِ الكَلامِ، وكَأَنَّهُ يَتَـذَكَّرُ شَيْـئًا كَانَ غَـائبًا عَنهُ ثُمَّ قَالَ: يَا مُـوسَى، أَلاَ تذْكُرُ فِـعلتَكَ التى فَـعلتَهَـا وأَنتَ تَعيشُ فِى قَـصْرِ فِرعونَ، لَقَـدْ قَتلتَ نَفْسًا وهرَبْتَ مِنَ العِقَـابِ الَّذِى كَانَ سَينزِلُ بِكَ، أَلاَ تَذَكُرُ ذلكَ؟

قَالَ مُـوسَى: لاَ شَكَّ أَننى أَتذكَّرُ ذلكَ ولاَ أَنسَـاهُ. . وَلكنَّنى أَتذكَّرُ أَيضًا أَنَّ اللهَ غَفرَ لِى ذَلكَ الخطَأَ لأَنَّهُ لمْ يكُنْ عَنْ عَمد ولاَ عَنْ قَصْد. .

قَالَ فِرْعَونُ: يَا مُوسَى، إنَّ مَنْ كَانَ مثلَكَ لاَ يمْكِنُ أَنْ يحملَ رِسالةً أَو نبوَّةً. أَلاَ تذْكُرُ أَنَّكَ أَنْتَ وقَوْمكَ تَعبدُونَ فِرعونَ رَبَّ هَذه البِلاد؟

قَالَ مُـوسَى: أَستغْـفِرُ اللهَ، وَأَعُوذُ بِه، فَـأَنَا أَعبـدُ اللهَ رَبَّ العَالمينَ فَقَطْ، فَهوَ الإِلهُ الوَاحِدُ الَّذى يَستحقُّ العِبَادَةَ.

قَالَ فِرعَونُ: وَمارَبُّ العَالمينَ؟

قَالَ مُوسَى: رَبُّ السَّـمواتِ وَالأَرْضِ ومَا بيْنهُمَـا، خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ وَمليكُهُ.

وظَهرَ الغَضَبُ عَلَى وَجهِ فِرعَوْنَ واربدَّتْ مَلامِحُهُ وتلَفَّتَ حَولَهُ وهُوَ يقُولُ لقومه:

أَلاَ تسمَـعُونَ أَيُّها النَّاسُ، إن مُوسَـى لمجْنونٌ، إنهُ يُحدِّثُنَا عَنْ إِلَه لاَ نَعرِفُهُ وَلاَ نُقـرُّ بوُجوده، إنَّهُ يَتحَدَّثُ عَنْ إِلَه آخرَ سِـوَاىَ، وَأَنَا مَا عرَفْتُ لَكمْ مِنْ إِلَه غَيرِى. . فَهلْ أَنتُم سَامعُونَ؟

قَالَ مُوسَى، وَهُوَ لاَ يزَالُ يَدْعوُ إِلَى ربِّه، بالحكْمة والموْعظَة الحسَنة:

إنَّ الذى أَدْعُـو إِلَى عِـبَـادته وَحْـدَهُ لاَ شَـرِيكَ لَهُ، هُوَ اللهُ، إِلهى وَإِلهُكَ، ربِّى وربُّكَ وربُّ آبَائكمُ الأَولينَ، هُوَ رَبُّ المشْرِق والمغْـرب وَمَا بَينهُمَـا، هُوَ ربُّكم أَيُّها النَّاسُ، هُو الخَالقُ، هُوَ المحْـيِى، هُوَ المميتُ، هُوَ الرزَّاقُ ذُو القوة المتينُ. . فتذَكَّروا ذَلكَ وَأَقرُّوا بِهِ إِن كنتُمْ تَعقلُونَ.

وَظَلَّ مُوسَى وهَارُونُ يجَادلان فرعْونَ ويبَيِّنَان لَهُ أَنَّ العذَابَ عَلَى من كَـذَّب وحيَ الله تعالَى، وتولَّى وأعْـرضَ عنْهُ، وأَنَّ اللهَ خَـالقُ كُلِّ شيءٍ وَأنهُ إلَيه المَرجعُ والمآبُ. ولَكنَّ فـرعْونَ ازدادَ كُفْـرًا وعنَادًا، وَكانتْ بطانةُ السُّوءِ توَسْوِسُ لهُ بأفكَار يَظُنُّ أنَّها ستعجزُ مُوسَى وهَارُونَ، فطلَبَ منهُمَا علامَات تَدلُّ عَلَى نُبُـوتهمَا، فَألقَى مُـوسَى العصَا فإذَا هِيَ ثُعبَـانٌ يتحَرَّكُ ويسْعَى، ووَضعَ يدَهُ فِي جيبِه وأخرجَهـا فإذَا هيَ بيضَاءُ من غَيْرِ سوءٍ.. وكَانَ قَـومُ فرعَونَ أهلَ سحـر يَفتَتنُ النَّاسُ به، فَـلَم يبْـهتْ فرعَـونُ بهذه الآيات الَّتي جاءَ بهَـا مُوسَى، لأنهُ ظَنَّهَا سحرًا مثلَ مَـا يفعلُ سَحَرَةُ مصْـرَ، وقَالَ لَهُمَـا: إنْ كنتُمَا صَادقَيْنِ، فسأجْـمعُ لكُمَا السَّحـرَةَ وأقيمُ بَينَكُمَـا وبينَهم مُـباراةً فِي السِّـحـرِ لنرَى مَنْ منَ الفريقَيْنِ سَـيكُونُ منَ الغَالبينَ.

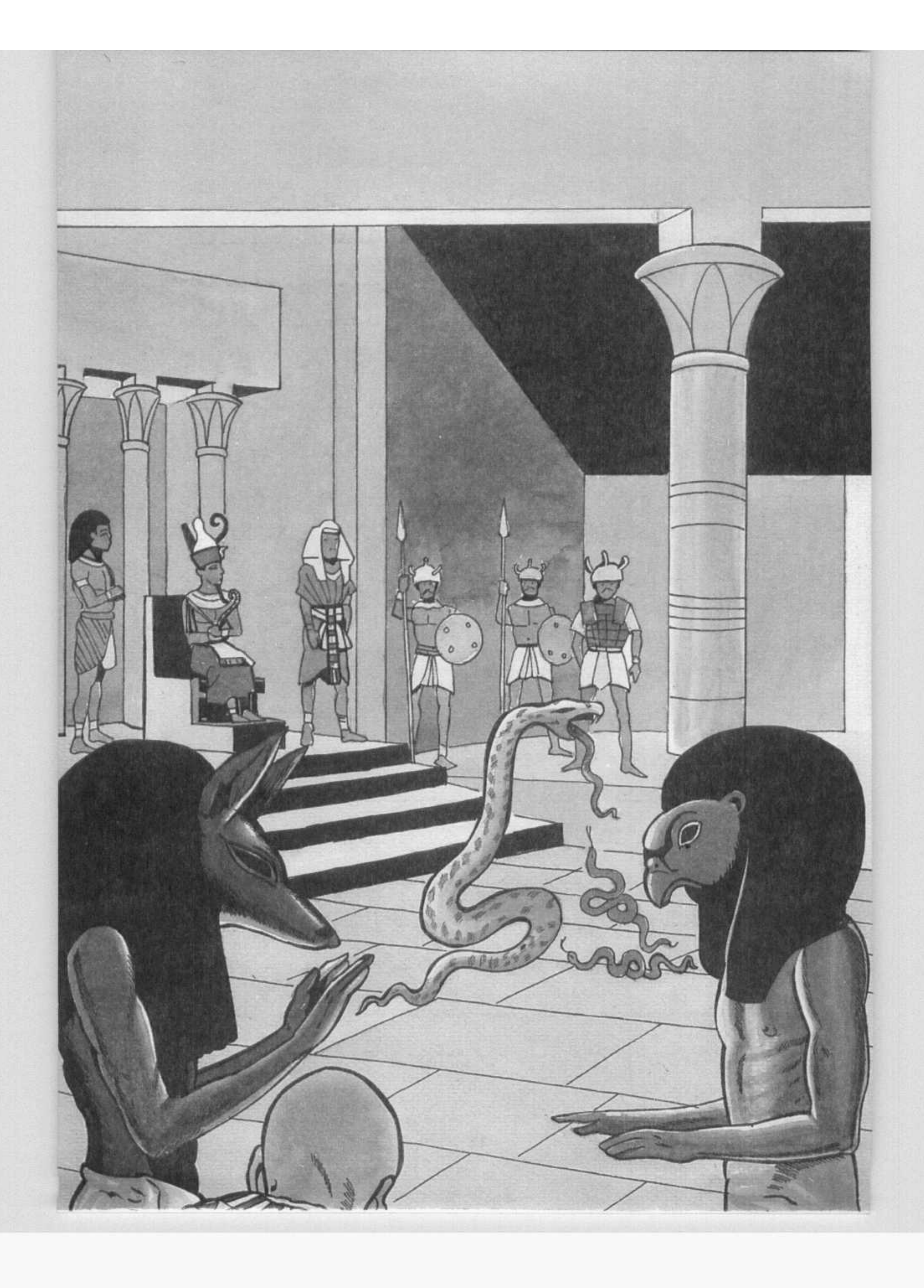
وجمَعَ فرعَونُ سَحرةَ مصرَ الَّذينَ جَاءُوا منْ كُلِّ ناحية، وَهمْ وَاثقُونَ بأنفسهمْ متَـأكِّدينَ منَ انْتصَارهمْ، بَلْ أوغَلُوا فِي الثِّقة والـتَّأكُّد حتَّى أنهم طَلَبُوا منْ فرعونَ الأجرَ الكبيرَ مقـدَّمًا، والمكَافَأةَ السَّخيةَ إذَا هزَمُوا مُوسى وأَخَـاهُ، ووعَـدَهُمْ فرعَـونُ بأنْ يمنحَـهُمْ كُلَّ مَـا يَطلبُـونَ إذَا كَـانُوا هُم الغالبينَ.

وَاجتَـمَعَ النَّاسُ فِي يوْمِ عيـدهمْ، وأَتَت الحشُـودُ الضَّخـمَةُ منْ كُلِّ مَكَان، والْتَـقَى مُوسَى وأخُوهُ هَارُونُ مَعَ عُـتَاة السَّـاحرينَ، فِي حُـضُور فرعْونَ، وفِي حُشود الشَّعب، وأمَامَ الجميع قَالَ السَّحرةُ لمُوسَى عَلَيه السَّلامُ:

أتحبُّ أَن تُلقيَ عـصَاكَ أوَّلاً، أمْ نُـلقِي نَحنُ بسحـرِنَا، ونَنظرُ مَـاذَا ستكُونُ منَ الفَاعلينَ.

قَالَ لهمْ مُوسَى: بَلِ ابْدءُوا أَنْتمْ بمَا لديْكُمْ، ثُمَّ انظُرُوا مَـاذَا سَيفْعَلُ اللهُ بكمْ أجمعينَ.

وفِي لَحظَة واحدَة أَلْقَى السَّحرةُ حَبـالَهمْ وعصيَّهُمُ الَّتى خُيِّلَ للنَّاس أنهَا حيَّاتٌ تَسْعَى، وثعَابينُ تَتلوَّى، وأفـاعٍ تَسرَحُ فِي جنبَاتِ السَّاحة تُبهرُ عُيونَ المشَاهدينَ.



وَابتهجَ فـرعَوْنُ وقوْمهُ بما يَرَوْنَ، وظَـنُّوا أَنَّ السَّحرةَ قَدْ نَجـحُوا فِي مُـهِمَّـتِـهِمْ، وأَنَّ عصَـا مُوسَـى لاَ يمكن إلاَّ أنْ تكونَ ثعـبانًا مـثلَ هذه الثَّعـابين. . وتوَجَّسَ مُوسَى فِي نفسـه وأَحسَّ بشيْءٍ منَ الخوْفِ يُراوِدُهُ، وَلكنَّهُ أَلقَى عَصَـاهُ باسْمِ اللهِ مُتوَكِّـلاً عَلَيْه، فتحـوَّلَتْ إلَى حَيَّةٍ ضَخْـمة تَجرِي فِي السَّـاحَةِ تَأكُلُ الحيَّات والثَّـعابينَ، وَتلتَهِمُ مَا أَلقَى السَّـحرَةُ منَ عِصيٍّ وَحبَال، وتُبطِلُ سحرَ السَّاحرِينَ، وكَيدَ الكَائدينَ.

وَدُهشَ السَّحرَةُ ممَّا يشْهدُونَ، وَأصَابَ فرعَونَ الذُّهولُ، وزَادَ ذُهولاً وَغضَبًـا عندَمَا أَعلنَ السَّحرَةُ إيمانَهم باللهِ العَلِيِّ العَـظيمِ القَادرِ عَلَى تَأيِيد أَنبيائه بالمعْجزات، وقَالُوا: إنَّ مَـا جاءَ به مُوسَى لاَ يُمكنُ أَنْ يكُونَ سحْرًا منْ صُنْعِ البَـشـرِ، وإنَمـا هُوَ مُـعـجـزَةٌ منَ اللهِ الَّذِى أَرسَلَهُ، ثُمَّ خَـرُّوا سَاجدينَ وَهُمْ يقُولونَ: آمنَّا بربِّ مُوسَى وهَارُونَ.

وَآمنَ معَهُمُ الكَثيرُ منَ المصْـريِّينَ، وَأكَّدَ بَنُو إسرَائيلَ إيمَانَهُمْ أَيْضًا، فَكَانَ يَومًا مَشْهودًا يفْخَرُ به المؤْمنُونَ.

وَلكنَّ فـرْعونَ زَادَ عنَادُهُ، وَلَمْ يُذعنْ لمارَأَى، وَلَمْ يُعلنْ إيمَـانَهُ، بَلْ عَلَى عكْسِ ذَلكَ قَالَ للسَّـحرة: إنَّ مُوسَى هَذَا هُو كَبِـيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمكُمُ السِّحْـرَ، وَإنْ لَمْ تَعودُوا إلَى الكُفْرِ بـدَعوَته وَالإيمَان بِى، فَـسوْفُ يكُونُ جَـزاؤكُمْ هُوَ التَّـعـذيبُ الشَّـديدُ والنَّكالُ الأَليمُ، فَـسـوْفَ أُقَطِّعُ أيديكُمْ وَأرْجُلَكمْ منْ خلاَف، وَأقتلُـكُمْ، وأُصلِّبكُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ، لتكُونُوا عبرَةً لغيركُمْ، ولئَلاً يَتبعكُمْ ويتْبعَ مُوسَى المزيدُ منَ المؤَيِّدينَ.

قَالَ السَّحَـرةُ: افعَلْ مَا يَحْلُو لَكَ، فَإنَّ كُلَّ ما تَفـعَلُهُ سيَزُولُ بزَوالِ الدُّنيا، ونَحْنُ نَنْتظِرُ الجزاءَ منَ اللهِ فِي الحيَـاةِ الآخرَةِ الَّتِى هِيَ خَيْرٌ وَأَبقَى للمتَّقينَ.

المؤامرة لقتل موسى

ظَلَّ مُوسَى وهَارُونُ عَلَيهِمَا السَّلامُ فِى مِصْرَ، يَدعُوَان إِلَى تَوحِيد الله عَزَّ وجَلَّ، وعِبَادَته وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وضَاقَ به فِرعَونُ وَجُنُودُهُ، فَأسَرَّتْ حَاشيةُ فرعَونَ إليْه أَنَّ الحلَّ الوَحيدَ هُوَ قَتلُ موسَى، وكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ منهُمْ آمنَ بمَا جَاءَ به مُوسَى، ولكنَّهُ يكتُمُ إيمَانَهُ، قَالَ لَهمْ: أَتقتُلُونَ رَجُلاً لأنهُ يَقُولُ ربِّىَ اللهُ، إنْ كَانَ صَادقًا فيمَا يقُولُ فَسوْفَ يَكونُ نعْمةً عَلَى البلاَد والعبَاد،وإنْ كَانَ كَاذبًا فَإنَّ كَذبَهُ سيكُونُ عَلَيْه وحدَهُ، ولَنْ يَضرَّكُمْ منْ كَذبه شَىءٌ.

وَظَلَّ الرَّجُلُ يُجادلهُمْ ويذَكِّرُهُمْ بآيات الله فِى السَّابقينَ، وتعْذيبه للقوْم الكَافرينَ، فَاكتَشفُوا أنَّهُ مؤْمنٌ برسَالَة مُوسَى، فحَاولُوا أنْ يبْطشُوا به ولكَنَّ اللهَ حفظَهُ ووقَاهُ منْ كَيدهمْ وشُرورهمْ.

العاقبة للمتقين

لمَّا استَيأسَ مُوسَى منَ إيمَان فرْعَونَ ومَنْ مَعَهُ، طَلَبَ منْهُ أَنْ يسمَحَ لَهُ بالخُرُوج منْ مصرَ هُوَ وبَنى إسرَائيلَ، فوَافَقَ فرعَونُ عَلَى ذَلكَ. . وخرَجَ منْ مصرَ خُروجَهُ الثَّانى، ولكنهُ ليْسَ وَحيدًا هَذه المرَّةَ، وإنمَا مَعَهُ بَنُو إسرَائيلَ جَميعًا، رجَالاً ونسَاءً، شُيوخًا وشُبَّانًا وأطْفالاً، وكَانَ ذلكَ فُرصَةً لتوسْوسَ حَاشيةُ فرعَونَ لَهُ، ويَقُولُونَ: يمكنُكَ الآنَ أَنْ تقضىَ عَلَى بَنى إسرَائيلَ جَميعًا فترْتاحَ منهُمْ ومنْ عَنَائهمْ، فَقدْ تَجَمَّعُوا وخرَجُوا كُلُّهُمْ وَسوفَ يكُونُونَ فى عَرَاء الصَّحراء بلاَ سلاحٍ ولاَ أدَوات حَرْبٍ، فتخْرُجَ وَرَاءَهُم بجُندكَ وتَقضىَ عَليهمْ جَميعًا.

وجَمعَ فِـرْعَونُ جَيْـشًا حَاشِـدًا، وخرَجَ وراءَ بَنِى إسرَائيلَ ليـقْضِى عَليهِمْ. أَو يُعِـيدَهُمْ مرَّةً أخْـرَى أذَلاَّءَ، وفُوجِئَ بَنُو إسرَائيلَ بهَـذَا الجَيْشِ القَادِمِ مِنْ ورائِهِمْ، فقَالُوا: يَا مُوسَى، إلَى أينَ سَنتَّـجِهُ، البحْرُ مِنْ أَمامنَا والعَدُوُّ مِنْ خَلفِنَا. ولَكنَّ مُوسَى نَبِىٌّ مَوعودٌ بالنَّصرِ، وكَانَ عَوْنُ الله مَعَهُ فِى هذه المرَّة أيْضًا، وكَانت المعجزَةُ الَّتى لاَ ينْسَـاهَا التَّاريخُ، فَقدْ أمرَ اللهُ مُوسَى أَنْ يضرِبَ البَـحْرَ بعصَاهُ فـانفلَقَ البَحْرُ، وكَأنمَا قَـدْ تَجمَّدَ الماءُ فِى شَكْلِ جَبلَيْنِ عَظيمَيْنِ عَنْ يَمينٍ وشِمَالٍ، بَينهُـمَا خَندَقٌ يَسيرُ فِيهِ الإنسَانُ آمنًا إِلَى الشَّاطِىء الآخَرِ.

وَاندَفعَ مُوسَى وبَنُو إسـرَائيلَ يَعبُـرُونَ البَحْرِ سَـيْرًا فِى ذَلكَ الخَنْدَقِ الَّذى صَنعَهُ اللهُ لَهُمْ، وَمِنْ وَرائِهم جَاءَ فِرْعَـون وجنُودُهُ يَعبرُونَ، وعندَمَا توسَّطَ فرعَوْنُ وجُنودُهُ ذلكَ الخَنْدقَ أمَـرَ اللهُ البَحْرَ أنْ يعُودَ إلَى طَبيـعَتهِ، فَسَرى الماءُ كمَـا كَانَ، وتلاَطمَت الأَمْواجُ، وانَطبقَت النَّاحيتَان والتَـحَمتَا عَلَى فِرعَوْنَ وَجنُودِهِ فكَانُوا مِنَ المغرَقِينَ.

وَأحَسَّ فِرعَـونُ بأنَّها النِّهَـايَةُ، وَأنهُ لَنْ يَستطِيعَ أَنْ يدْفَعَ عَنْ نفْـسهِ الغَـرقَ، فقَـالَ: آمنْتَ بأنهُ لاَ إلَهَ إلاَّ الذى آمنَتْ به بَنُو إسـرَائيلَ وأنا مِنَ المسْلمينَ. ولكنَّه قَـالَ ذلكَ فِى اللحَظات الأَخيرَة الَّتى لا تنْفعُ فِـيهَا توْبَةٌ وَلا يَصِحُّ إيمَانٌ، لذلكَ هَبطَ جِـبريلُ عَلَيْه السَّلامُ يقُـولُ لَهُ: أتقُولَ ذلكَ الآنَ بعدَ أنْ تأكَّدتَ مِنَ الغَرقِ وَقدْ عصيْتَ مِنْ قَبلُ وكنْتَ مِنَ الكَافرينَ.

وكَانَ فَرَحُ بَنِى إسرَائيلَ عَظيمًا، لَقدْ نَجَّاهُمُ اللهُ مِنْ فِرعَوْنَ وجُنودِهِ وَمِنْ قَبلُ أنَجاهُمْ مِنْ كَثيرٍ مِنَ المتَاعِبِ والمصَاعِبِ لعلَّهمْ يشْكُرونَ.

موسى مع بنى إسرائيل

لقَد انتهَتْ متَـاعبُ مُوسَى مَعَ فِرعونَ وقَومِه، ولكنْ بَدأتْ مـتَاعِبُهُ مَعَ قَومِه هُوَ، مَعَ بَنى إسرائيلَ، الذينَ لمْ يَذكُرُوا نعمَ الله الجزيلَةَ عَليهِمْ، ومَا كَـادُوا يَخرُجُونَ مِنَ البَحْـرِ، ويَسيرُونَ فى أرْضِ سَينَاء حَـتَّى وَجَدُوا قَومًا يعْبدُونَ الأصْنامَ ويتَّخذُونَهَـا آلهةً، فقَالُوا: يَا مُوسَى، اجْعلْ لَنَا آلهةً كَمَا لَهؤلاءِ آلهَةٌ يعْبدُونَهَا.

وَدُهشَ مُـوسَى مِمَّـا يـقُـولُونَ.. فَهلْ بعْدَ الآياتِ والمعْجزَاتِ، ونعَمِ الله التى تتوَالَى عَليكُم تطْلبونَ هَذَا الطَّلبَ، وتريدُونَ أنْ تعْبدُوا أصْنامًا لاَ تَرَى ولا تَسمَعُ، لاَ يا قَوْمُ، إنَّ دعْوتى الدَّائمَـةَ والبَاقيةَ مَعَ الزَّمانِ هِيَ أَنْ أقولَ للبشَرِيَّةِ كُلِّهَا: اعْبدُوا اللهَ مَا لكمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ.

المناجاة على الجبل

أَوْحَى اللهُ إِلَى نَبِـيِّه مُوسَى أَنْ يصـعَدَ إِلَى الجَـبلِ،وأَنْ يمْكُثَ هُنَاكَ ثَلاثينَ لَيلةً يُصلِّى ويَصُـومُ، ويعْبُـدُ اللهَ ويَنَاجيه، والغَـرَضُ مِنْ ذلكَ هُوَ السُّـموُّ بالنَّفسِ، وتَـرويضُهَـا عَلَى الصَّبْـرِ عَلَى المكَارِه، وتَقـويَةُ الإرادة لتَحَمُّلِ تَبعَاتِ الرِّسَـالةِ، وأَعلَمَ مُوسَى قَومَهُ بذلكَ، وأَوصَى أخَاهُ هَارُونَ بأَنْ يكُونَ خَليفَتَـهُ عَلَى بَنى إسرائيلَ، وطلَبَ منْهُ السَّهرَ عَلَى مَـصالحِهمْ واليَقَظَةَ فِى تحقـيقِ أُمورِ التَّوحيدِ؛ فـهَوُ ذَاهِبٌ لمناجَاةِ ربِّه،وتَلَقِّى الألوَاحِ المبَارِكَةِ مِنَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ.

وصَعدَ مُـوسَى إلَى الجبَلِ بإذْنِ ربِّه، ومكَثَ هُناكَ ثلاثينَ يومًا يـعْبدُ اللهَ ويشكُرهُ عَلَى نعَـمه الجـزيلة عَليه وَعلَى بَنى إسـرَائيلَ، ثُمَّ أوْحَى اللهُ إليهْ بقضَـاء عَشرِ ليالٍ أخْرَى، فَـتمَّ ميقَاتُ ربه أرْبعينَ ليلة، وبعْـدَ تمامها كَلَّم مُوسَى ربَّه قَائلاً:

ربِّى.. اجْـعلْنى أنْظرْ إليْكَ؛ لأشكُرَ لَكَ نعـمَـتَكَ علَىَّ وعلَى بَنى إسرَائيلَ ولأسْعدَ برُؤيَةِ نُورِ وَجهكَ القُدْسىِّ.

فَقالَ اللهُ سـبْحانَهُ وتعَالَى: يَا مُـوسَى، إنَّكَ لنْ تَستطيعَ أنْ تَرانى، وَلكنِ انظُر إلَى الجَبلِ، فَإنِ استَقرَّ مكانَهُ فسوْفَ ترَانى.

وتجلَّى اللهُ ببـعْضِ نُوره إلَى الجـبَلِ، فـجَعَلهُ دكًّـا، أىْ غَـاصَ فى الأرضِ، وانهَارَ فى لمحَـة، وخرَّ مُوسَى مصـعُوقًا مَع انْهيَـارِ الجَبلِ، ولَما أفاقَ منْ صَـعقَتِـه دعَا ربَّه قَـائلاً: يَارَبُّ، سبْحـانَكَ تُبتُ إليْكَ وأنَا أوَّلُ المؤْمنينَ بقدْرتكَ وجَلالكَ وعظَمتكَ.

وَتمتْ نعمَةُ الله عَلَى مُوسَى إذْ أعلمَهُ اللهُ بـأنَّهُ سبْحانَهُ اصْطفَاهَ عَلَى النَّاسِ برسَالته، وبتَكـليمه مُبَاشَرةً بدُون وَسـيط منَ الملائكَة، وأنزَلَ عليْه أسفارَ التَّـوراة، وَالصُّحفَ المقدَّسةَ الَّتى تُبيِّن الحلالَ والحـرَامَ وشَريعةَ الله الَّتى يَجبُ أنْ تحكُمَ بينَ النَّـاسِ، والموَاعظَ التى تُبينُ مـحَاسنَ الأخْـلاقِ وَمكارمَ الفعَالِ، وَأمرَهُ اللهُ أنْ يأخُذَهَا بقوَّةٍ وَأنْ يكُونَ منَ الشَّاكرينَ.

فَاستَجابَ مُوسَى لأوامرِ الله وَخَرَّ راكـعًا وسَاجدًا، سُجودَ العُبوديَّة وَالإجْلالِ والتَّقديسِ لله رَبِّ العَالمينَ.

فتنة السامري

كَانَ مُوسَى، قَدْ أَخبرَ قَوْمَهُ أَنَّهُ ذَاهبٌ للقَاء ربِّه، وأَنَّه سَيَغيبُ عَنهُمْ ثَلاثينَ لَيلةً، فلمَّا أتمها اللهُ أربعينَ، وتَأَخَّـرَ مُوسَى عَشْرَ ليَال زيادةً عَلَى مَا وَعدَ به قَومَهُ، عَادُوا إلَى الكُفْر والوَثَنيَّة، وطَلَبوا أَنْ يعْبدُوا عجْلاً مثلَ ذَلكَ الَذى يعْبدُهُ المصريُّونَ، وكانَ منْ بينهم رجُلٌ ضَعيفُ الإيمَانِ، يُدْعَى مُوسَى السَّامرىَّ، جَمعَ الحُلىَّ الذَّهبيَّـةَ منَ النِّسَاء، وأَوقَدَ عَليهَا النَّار حَتَّى انْصهرَتْ وصَـارَتْ سَائلاً كالماء، عَجَنهَا وصَنعَ منْهَـا عجْلاً منَ الذَّهَب، وجَعلَهُ مجوَّفَ البَـطْنِ، ولَه فتحَتَان منَ الأمَام والخَلْف يَمرُّ الـهَوَاءُ بيْنهمَا فيسمعُونَ لهُ صَوتَ خُوار كَمَا يَخُورُ العجْلُ الحقيقىُّ، وَعكَفَ بنُو إسَرائيلَ عَلَى عبادَة ذَلكَ العجْلِ، ولَمْ يهتمُّوا بأَمْر هَارونَ عندَمَا أَرادَ أَنْ يُردَّهُمْ عَنْ ذَلكَ الكُفْر، إذْ قَـالَ لَهُمْ أَنَّ اللهَ وَحدَهُ المعْبـودُ بحَقٍّ، لاَ إلهَ غَيْرهُ، فـهُوَ الوَاحدُ القَـهَّارُ، لَيسَ لَهُ شريكٌ فى الملك، وَلاَ يَنْبَـغى لبشَر أَنْ يعـبُدَ إلاَّ اللهَ، ولكنَّ بَنى إسرَائـيلَ المعَاندينَ دَائمًا لَمْ يُعْطُـوا هَارونَ آذانًا مُصغـيَةً، وَطلَبُوا منْه السُّكوتَ حَتَّى يعُودَ إليهمْ مُوسَى.

تَلقَّى مُوسَى الأَلواحَ منَ ربِّه، ولَما همَّ بمغادَرة الجبَل أَخبرَهُ اللهُ تعَالَى بافتتَـان قَومه عَنْ دينهمْ، وأَنَّ السَّامرىَّ أضلَّهُمْ، فَرَجَعَ مُـوسَى إلَى قَومه غَضبانَ أسفًا يملأُ الحَـزْنُ صَدْرَهُ، ويَغْلى بالأَسَى فُؤادُهُ، وسَعَى إلَى أخيه هَارونَ، يَجُرُّهُ منْ لحيته، ويسْأَلُه: كَيفَ يسْمَحُ نَبىُّ الله هَارونُ بهَذَا الكُفْر الَّذى فَشَا بَيْنَ بَنى إسْرَائيلَ، فقَالَ هَارُونُ: يَا أخى، إنَّنى لَمْ أَشَأْ أنْ أفرِّقَ بَينَ بَنى إسَرائيلَ، ولَقدْ نَصحْتُهمْ فَلمْ يَنتصَحُوا، وزَجرْتُهمْ فَلَمْ يَنزجرُوا، فانتظرْتُكَ حَتَّى تَعودَ، وتُلقىَ إليهمْ بأوَامر ربِّكَ.

التفَتَ مُـوسَى إلَى قَوْمـه ولاَمَهُمْ عَلَى مَـا فعَلُوا، ثُمَّ وجَّـهَ سُؤالَهُ للسَّامرىِّ، قَائلاً: لمَاذَا فعلْتَ ذَلكَ، وفتنْتَ بَنى إسْرائيل؟

قَالَ السَّامرىُّ: لَقدْ عرفْتُ خَصائصَ بَنى إسرَائِيلَ الَّتى لَمْ تعرِفْهَا أَنتَ، وتقرَّبتَ إِليهمْ بحسَبِ خَصائصِهمْ.

وَحَقَّ عقَابُ الله لموسَى السَّامرىِّ، إذ ابتلاَهُ بمَرضٍ يُشبهُ ما نُسمِّيه الحسَاسيةَ فَيصيبُهُ الأَلمُ الشَّديدُ إذَا لمسَهُ إنسَانٌ، ثمَّ هُوَ فى الآخرَة لَهُ عَذابٌ شَديدٌ وبئسَ المصيرُ.

أَمَّا عجْلُ الذَّهب فقَدْ أَحرقَهُ مُوسَى، ثُمَّ نسَفَهُ فى البَحْرِ، ليكُونَ ذَلكَ آيةً لهَمْ أنهُ لاَ يستَطيعُ أَنْ يُدافعَ عَنْ نفْسه، فكيْفَ يَجعلَونَهُ إلهًا ويَعبدُونَهُ؟

الأرضُ المقدسة

أمرَ اللهَ بنى إسرَائيلَ أَنْ يأخُذُوا الأَحكَامَ الَّتى أنزلَها فى التَّوراة، وَأَنْ يَأتمرُوا بهَا وينفذُوهَا دُونَ توقُّفٍ أَو تذَمُّرٍ، وَأَنَ يحَافظُوا عَليْهَا أَشدَّ المَحافظة، وكَانَ ممَّا أمرَ اللهُ به بَنِى إسرَائيلَ أَنْ يدْخُلُوا الأَرضَ المقدَّسَةَ، فسَارَ مُوسَى بهمْ متوَجِّهًا إِلَى بَيت المقدس، وَأرسَلَ بعْضًا منْ قَومه ليتعرَّفُوا عَلَى أَحْوال تلكَ البلاد، الَّتَى هيَ فَلسْطينُ، فَرأَى المبعُوثُونَ قوةَ رجَالِ أَهلِ هَذه الأَرَضِ وَضخَامَةَ أجْسامهمْ، فَضَعُفتْ نُفُوسهُمْ، وَعَادُوا يبثُّونَ الرُّعبَ فى قُلوب بَنى إسرَائيلَ، وقَالَ مُوسَى لقَومه: يَا قَومُ، ادْخُلُوا الأَرضَ المقدَّسةَ الَّتى كتَبهَا اللهُ لكُمْ، فقَالُوا له: إنَّ فيهَا قَومًا جَبَّارينَ، وَإنَّا لنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخرجُوا منْهَا، فَإنْ يَخرجُوا منْهَا فَإِنَّا دَاخلُونَ.

وَقالَ بعْضُ العَالمينَ منْهُمْ: إذَا أَرْدتْم دُخولَ هَذه الأَرض فعَليكُمْ أَنْ تُركزُوا عَلَى بَابهَا وتَقتحمُوهُ، فإذَا دَخلْتُمُ البَابَ اسْتطعَتُمْ اقْتحَامَ المدينَة.

ولَكنَّ بَنى إسَرائيلَ رَفَضُوا الحربَ، وقَالُوا لموسَى: إنَّا لنْ ندخُلَهَا مَادامَ فيهَا هَؤلاء الجبَّارونَ، فاذْهَبْ أنتَ وربُّكَ فقَاتلاَ إنَّا هَا هُنَا قَاعدُونَ.

ولم يستطع موسى إلاّ أنْ يناجى ربَّه قائلاً: ربِّ إنّى لا أملكُ إلاّ نفسى وأخى، فاحْكُمْ بيننا وبيْنَ القوم الفاسقين، فاستجابَ اللّهُ دُعاءَ موسى، وأصدرَ حُكمًا علَى بَنى إسرائيلَ، بعذاب لم يألفُوهُ، ولمْ تألفْهُ أمّةٌ منْ قبلُ، فقدْ حكمَ اللهُ عليهمْ أنْ يتيهُوا فى الأرض ويتفرّقوا فيها أربعينَ سنةً، إنهُ عذابٌ دائمٌ وأليمٌ، وهذَا منْ بَاب الشّقاء النّفْسىِّ، فهوَ تيهٌ كاملٌ لمدة أربعينَ عامًا، فكانَ الرّجُلُ يُحَاولُ أنْ يجدَ طريقَهُ إلَى مصرَ أو الشّام، فيضلُّ الطّريقَ، فيصْعَدُ الجَبَل ثُمَّ ينزلُ منْهُ، ويصعَدُ مرةً أخرَى، وينزلُ وهكَذا، حتَّى ماتَ الكثيرُ منْ بنى إسرائيلَ فى عصرِ التّيه، عقَابًا لهمْ علَى رفضهمْ أوامرَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وأخيرا ... فى رحاب الله

يقولُ المفسّرونَ أنّه فى زمنِ التّيه، أرادَ اللهُ أنْ يقبضَ هارونَ إليْه، فأمرَ اللهُ موسَى وهارونَ أنْ يذهبَا إلَى أحد جبَال سينَاءَ، وهُناكَ ماتَ هارُونُ عليْه السّلامُ الّذى كانَ محبُوبًا لدَى بَنى إسرائيلَ أكثرَ منْ موسَى بسبَب لينه ورقّته معَهُمْ. فلمَّا عادَ موسَى بدُونَ هارونَ قالَ قومُهُ: لقدَ قتلَ موسَى هارونَ أخَاهُ حسدًا منْهُ، بسبَب حُبِّ بَنى إسرائيلَ لهارونَ، فعزَّ علَى موسَى أنْ يسمَعَ مثْل هَذَا الاتهامَ يُوجَّهُ إليْه، فصلَّى ركْعتيْنِ لله عزَّ وجلَّ، ودعَا ربَّهُ أنْ يريهمْ هارونَ، فأنزلَ اللهُ هارُونَ بينَ السّماء والأرْض علَى سريره الأبيض، ولما لمْ يجدُوا عليه أثرَ القَتْل صدَّقُوا موسَى وآمنُوا بإخبَاره أنَّ اللهَ توَفَّى هارونَ وقبضَهُ إليه، وهُمَا صاعدَان إلَى الجبَل.

أمَّا موسَى عليه السّلامُ، فقدْ أمرَهُ اللهُ أنْ يذْهبَ إلَى أرضَ نبُوءانَ ينظرُ إلَى الأرضِ المقدّسة ولا يدْخُلهَا، وهنَاكَ مَاتَ، ودفنَهُ نبىُّ الله يُوشَعُ، علَى الكثيبِ الأحمرِ فى أرْض سيْناءَ.

سلامٌ علَى موسَى وهارُونَ، وعلَى أنبياء الله أجْمعينَ.

